



گۆقاری ئەكادیمیای کوردی

بە

ژماره ٦٦ - ٢٠٢٦

گۆقاریکی زانستی و هەرزییە

سەرۆکی ئەكادیمیای کوردی و خاوەنی ئیمتیازی گۆقار
هەمەسەعید هەسەن

سەرنووسەر

پ. د. موحسین ئەحمەد عومەر

بەرپۆڵەبەری نووسین

د. پەخشەن فەهەمی فەرحو

دەستە ی پراویژکاران:

پ. د. میشیل ایزه نیریگ

پ. د. مارتن فان برونسن

پ. د. جەلیلی جەلیل

پ. د. سەڵح ئاکین

پ. د. جەعفەر شیخوئیسلامی

پ. د. عەبدولپەرمان ئەداک

پ. د. هاشم ئەحمەدزادە

دەستە ی نووسەرەکان:

پ. د. قەیس کاکل توفیق

پ. د. بەختیار سەجادی

پ. د. فەرهاد قادر کەریم

پ. ی. د. ئەحمەد موحەممەد مام عوسمان

پ. ی. د. عەبدولواحید ئیدریس شەریف

پ. ی. د. نەوزاد ئەحمەد ئەسوود

د. لەزگین عەبدولپەرمان ئەحمەد

گۆڤاری ئەکادیمیای کوردی، گۆڤاریکی زانستی وەرزییه، لەلایەن ئەکادیمیای کوردییەوه دەردەکریت و بایەخ بە تویژینهوهی کوردی لە بواریکانی زمان، ئەدەب، دیرۆک، جوگرافیا و کولتووری کوردی دەدات.

گۆڤارەکه تویژینهوهکان بە زمانەکانی کوردی، عەرەبی و ئینگلیزی بلاو دەکاتەوه و یەکهەم ژمارەهێ لە ساڵی ۲۰۰۲دا بلاو بوووتەوه.

ئەم گۆڤارە لەلایەن وەزارەتی خۆیندنی بالا و تویژینهوهی زانستی حکومەتی هەریمی کوردستانەوه، بۆ بەرزکردنەوهی پلەهێ زانستی باوەرپینکراوه.

* ریکخەری کاروباری گۆڤار: ئیمان نەجات ئاغۆک

* دیزاین: هەریم عوسمان

* مالبەرێ گۆڤاری ئەکادیمیای کوردی:

Web: journal.ka.gov.krd

* ئیمیل: journal@ka.gov.krd

* مۆبایل: 009647508375575

وهرگرتن ۲۰۲۵/۱۰/۱۴
پهسه ندرکن ۲۰۲۵/۱۱/۱۸



الشخصيات والمتخيل الإيكولوجي السردي في راويتي (تشيبيكو) و(طفوليا) لصلاح بن عياد

عبدالله محمد ابراهيم
جامعه راپه رين، قسم اللغة العربية.
كلية التربية. قلعه دزه.
abdullah.abdullah@uor.edu.krd

أ. د. سامى ناجى سوادى
جامعه راپه رين، قسم اللغة العربية.
كلية التربية، قلعه دزه.
alnaji22@uor.edu.krd

الملخص:

عنصر الشخصية يعد من أهم المكونات الفنية التي يقوم عليها الخطاب السردي، إذ يمثل الكائن الذي يبدعه المؤلف من كلمات، فيمنحه اسما وصفات ومظهرا ودوافع داخلية، ليصبح كائنا فنيا نابضا بالحياة، أي هو كائن موهوب بصفات بشرية، وهو العامل الرئيس الذي يؤهل الرواية لبلوغ الخلود والتميز والنجاح؛ ذلك بصفته يمس واقع الشخصيات الحقيقية ويمثلها. والشخصية جوهر سيكولوجي يحمل عمقا دلاليا من خلال تصوير قضايا المجتمع في العمل السردي. فهي أداة بارزة وهامة في يد الكاتب تساعده في بناء نصه ونسج حبكة، وخلق أحداثه وتطوره، تفعيلا للعمل الأدبي والفني، ولأنها عامل مشترك بين وحدات التشكيل السردي؛ حظيت بالدراسة والتحليل من قبل الدارسين والنقاد؛ بوصفها من أهم العناصر السردية وأكثرها تأثيرا وحضورا في النص الأدبي المعاصر. وانطلاقا من هذه الأهمية، قسمت هذه الدراسة الشخصيات إلى ثلاثة أصناف رئيسية: تناولنا في المطلب الأول الشخصية المفاهيمية، وفي المطلب الثاني الشخصية الساندة، أما المطلب الثالث من الدراسة فقد خصصت لشخصية الفتازيا بوصفها بعدا رمزيا وجماليا في العمل السردي. الكلمات المفتاحية: الشخصيات، الشخصية المفاهيمية، الشخصية الساندة، الشخصية الفتازية، الإيكولوجيا.

المقدمة

يعد عنصر الشخصية في العمل والبناء الروائي من أبرز العناصر وأكثرها أهمية، إذ هو الصورة الفنية التي تحمل دلالات ومضامين واقعية ترتبط بفكرة مؤلف العمل، ولأن الرواية كما هو معلوم فن (سرد نثري خيالي طويل) وفي مفردة (طويل) إشارة إلى كثرة أحداثها وتنوع أفكارها الجزئية التي تكون الفكرة الكلية والمضمون العام للحكاية المسرودة، هذه الكثرة والتنوع في الأحداث جعل للشخصية في العمل الروائي دورها البارز والمهم، وهو دور يختلف عن حضوره الفعلي في الأنواع الأدبية الأخرى، من قبيل: القصة القصيرة والشعر وغيرهما من الفنون الأدبية المعروفة التي لا تعتمد على الشخصيات بشكل واضح. (تكروني: ٢٠٢٣)

فالشخصية كائن يبده المؤلف من كلمات، فيعطيه اسما وعنوانا وشكلا ومضمونا. وهي "كائن موهوب بصفات بشرية، وملتزم بأحداث بشرية". (برنس ٢٠٠٣: ٢٤) إنها كائن قلما يخلو منها عمل قصصي، من القصة القصيرة إلى الرواية. فالروائي حين يسرد عمله القصصي يريد أن يقرب القارئ منه، وهو لن يستطيع ذلك إلا بأن يشخص الحدث، وهذا التشخيص لن يستطيع أن يحققه إلا بإبداعه للشخصية التي ستكون حاملة للحدث، ومحركة له، الأمر أدى بناقدين مثل توماشيفسكي، ورولان بارت، وهما من نقاد البنيوية إلى الإقرار بسيادة الشخصية على الحدث، وعندهما " أن الفعل و الشخصية يتكونان تدريجيا على امتداد الخط الزمني في عملية القراءة، وتطور السرد، حين يقول توماشيفسكي: إن الشخصية خيط هاد يمكن من فك مزيج المكررات، ويسمح بتصنيفها وترتيبها، وحين يقول بارت: إن المتواليات بوصفها كتلا مستقلة، تسترد عند مستوى الفعل الأعلى (مستوى الشخصيات)، فإنهما يقران

بسيادة الشخصية على الفعل في السرد الحديث". (مارتن ١٩٩٨: ١٥٢)، إذ تسهم في إيضاح حركة الأحداث داخل البناء السردى، فالرواية مثل العالم الطبيعي، لا يحدث فيها فعل دون وجود الفاعل المناسب لذلك الفعل، وعبر هذه التفصيلا الفنية ينظر إلى الرواية عامة، والرواية القصيرة بخاصة على أنها " تصور...تجربة إنسانية تعكس موقف كاتبها إزاء واقعه بالقدر نفسه الذي تفصح فيه عن مدى فهمه و عن جماليات الشكل الروائي، والرواية تقول هذا، وأكثر من خلال أداة فنية مميزة هي الشخصية، وهذا ما جعل بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم، إنها فن الشخصية". (العبيدي ٤٦٥)

كما ذكرنا سابقا أن الشخصية في العمل الروائي مثار جدل كبير بين النقاد والدارسين حول أهميتها أو التقليل من دورها، فإنها في الخطاب القصصي الموجه للأطفال لها مكانة خاصة، فهي ليست مجرد رابط لأحداث أو الخيط الذي يربط بين حلقاتها، وإنما هي مدار المعنى الإنساني ومحور الآراء والأفكار العامة. وللكتاب حرية ومجال في اختيار الشخصيات فقد يختارها من عالم البشر، أو من عالم الحيوان، أو من عالم الطبيعة و مافيهما من أشجار و جبال و أنهار أو من العوالم الغيبية أو الخرافية، فالكون كله مجال رحب لاختيار الشخصيات التي يجب أن تكون مقنعة للطفل، وقابلة للتصديق، وقريبة من واقعه قدر الإمكان في نموها وتصرفاتها وحديثها، بطريقة تتماشى مع عمر الطفل وجنسه وثقافته، ولأن هذه الشخصيات تلعب دورا ههما وتترك في نفوس الأطفال أثرا قويا وعميقا، ينبغي على الكاتب رسمها بعناية فائقة ومعالجتها بيقظة وحذر شديدين بما يحقق أهداف الرواية، و مهما كان نوع الشخصية فيجب علي الكاتب أن يراعي عرضها وطريقة تقديمها وكيفية تصويرها. (العبيدي ٢٠٠٢: ١٢٠-١٢١)،

والأحادية، والشخصيات الرمزية والمرجعية والخيالية. فهي على الرغم من كونها من ابداعات المؤلف إلا أن تأثيرها يبقى واضحا لدى القارئ بحكم أنها هي التي تسيّر الأحداث، ويجمع النقاد على الدور الأساسي الذي تلعبه داخل الرواية. (بطاطاش ٢٠٢٠: ٦)، ففي أثناء بحثهما في أصل المفاهيم، اجترح كل من جيل دولوز وفليكس غتاري، في كتابهما "ما هي الفلسفة؟" عبارة "الشخصيات المفاهيمية"، ف"المفاهيم"، كما يقولان: "هي بحاجة إلى الشخصيات التي تسهم في تحديدها". (دولوز، غتاري ١٩٩٧: ٢٨)، وبالتالي تكون تلك الشخصيات شخصيات مفاهيمية. وقد أشارا إلى شخصية الصديق وغيرها من الشخصيات المعنوية، وينسحب ذلك على الشخصيات الروائية والقصصية والأسطورية، ففي كتابهما: "إن العلوم والفنون والفلسفات في الحقيقة مبدعة بدورها، رغم أن إبداع المفاهيم بالمعنى الدقيق يرجع إلى الفلسفة وحدها. لا تكون المفاهيم في انتظارنا وهي جاهزة كما لو كانت أجساما سماوية. ليس هناك سماء للمفاهيم. بل ينبغي ابتكارها وصنعها، أو بالأحرى إبداعها، ولن تكون أي شيء إن كانت لا تحمل توقيع مبدعيها" (دولوز- غتاري: ٣٠)، ومن ثم فإن الآداب والفنون تساهم في وضع المفاهيم جنبا إلى جنب مع الفلسفة أو تمهد لها، لوضع المفاهيم واقتراحها وتكريسها عبر الشخصيات النموذجية التي تنتجها. وكذلك يؤكد (جيل دولوز) على ضرورة الاهتمام بالمشكلات وإبداع المفاهيم، وينبغي النظر تحت تلك المفاهيم بحثا عن المشكلات، وطرح الأسئلة الحقيقية، فما يهم هو: أي مشكلة يناظرها طرح السؤال وأي مفهوم سيصنعه؟ وإذا لم يكن لديك لا مفهوم ولا مشكلة، تظل في السطحية المبتذلة. (دولوز، و بارنت: ٧٧)

كانت الرؤى ولا تزال منظومة تفكير فلسفية الغاية منها بناء معرفة، إذ أن "كل معرفة هي معرفة

ولابد للشخصيات أن تتناسب مع أحداث القصة ووقائعها. والطفل بحاجة إلى التعرف على شخصيات القصة بدقة حتى يفهم دورها ويتفاعل معها، فهو بحاجة إلى أن يرى الشخصية أمامه حية مجسمة، وأن يسمعها تتكلم بصدق وحرارة وإخلاص، فيرى فيها صدق الحقيقة وحرارة الحياة. (أحمد ٢٠٢٠: ١٢٩). إذ أن كيفية رسم الشخصيات في العمل القصصي والروائي يضمن نجاحها عند الأطفال، لذا على الكاتب بذل جهده في اختيار ما يتوافق مع مراحل نمو الأطفال ومخاطبتهم بما يناسب أسلوبهم وطريقة تفكيرهم، وذلك لغرض توسيع مداركهم وتسليتهم وتنمية فكرهم. (كريمة، بوزارة ٢٠١٨-٢٠١٩: ٥٥)

الهدف من اختيار الشخصية ودراستها هو إبراز مكانتها بين المكونات السردية الأخرى، بوصفها المحور الأساسي والرئيسي في السرد الروائي والقصصي. كشف عن دورها الرئيس في تجسيد القيم التربوية والفكرية والبيئية، خاصة فيما يتعلق بفن الأطفال وعوالمهم الطفل الغارقة بالتخيل والآمال. عدم وجود دراسة عن روايتي (تشييكو) و(طفوليا) لصالح بن عياد. تصنيف الشخصيات بطريقة جديدة، خاصة الشخصية المفاهيمية، والابتعاد عن التصنيفات الكلاسيكيات من قبيل: (رئيسة و ثانوية). تتناول الدراسة في البحث المفهوم الإيكولوجي والتطبيق لهذا المفهوم على أدب الطفل. بغية تحقيق أهداف البحث ومعالجة إشكاليته إتبعنا منهج تحليلي.

المطلب الأول: الشخصية المفاهيمية

كما بينا أن للشخصية مكانة خاصة في النص الروائي، بحكم أنها عامل ربط بين مختلف البنى السردية الأخرى، وقد تفنن الكتاب والأدباء واهتم بها عبر تاريخ الأدب بكل أنواعها في رسم شخصياتهم، بين الواقعية والنفسية، الشريرة والخيرة، المركبة

(میلاد) في رواية تشيبكو، وهما أبطال الأحداث والمتخيل الإيكولوجي، في الروايتين.

فارس:

شخصية فارس من الشخصيات المفاهيمية في رواية (طفوليا كوكب الأطفال)، وهو طفل في الحادية عشرة من عمره، يعاني من مرض الربو المزمن، وهو ضحية مثل آلاف الضحايا الآخرين، نتيجة الإهمال البيئي، ونتيجة التعسف الذي كان الإنسان مصدره الرئيس والمباشر. ثم أن للبيئة تأثيرا كبيرا على الإنسان بطرق مختلفة. فهي تؤثر على صحته الجسدية والعقلية، وطبيعة حياته بشكل عام. فهو يتسبب في أحداث مناخية متطرفة أكثر توترا وشدة، من قبيل: موجات الحر والجفاف والفيضانات، والتي يمكن أن يكون لها عواقب وخيمة على صحة الإنسان، بما في ذلك ضربة الشمس والجفاف والعرق.

وكما هو معلوم أن تدمير النظم الإيكولوجية من الأمور السيئة للكوكب كله، بل لصحة الإنسان أيضا على ذلك الكوكب. ومع هذا التدمير والإنهيار يتحول الإنسان إلى ضحية لعوامل طبيعية وبيئية مؤثرة سواء كانت بشكل مباشر أو غير مباشر على حياته ومصيره. فالإنسان في هذه الحالة ومع الانهيار المتواصل للنظم الإيكولوجية والتدهور البيئي يصبح كائنا يتنفس ويعيش تحت رحمة الأرض التي تحمله وتحضنه. فنجد هذه الضحية في الرواية، حين يقول الراوي: "فقد تعود فارس منذ صغره انتظاره هناك... أما في تلك اللحظة فلم يجد الأب أثرا لابنه من خلا البلور! وهذا لا يحدث إلا حين يكون مريضا وملازما لسريره في غرفته العلوية" (بن عياد: ١٨)، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الشخصية ومع ما تعانيه من مرض وضيق في التنفس إلا أن الرواية تصوره على أنه مهمل ولا يهتم بصحته ويبدو ذلك

من خلال المفاهيم ولما كان العقل هو العنصر الكلي في الإنسان فإنه يترتب عليه التوحيد بين المعرفة والمفاهيم. فالمفاهيم تتكون استقرائيا عن المقاربة... إن الاستدلال الاستقرائي معني بتكوين المفاهيم... فيكون التعريف هو مجرد التعبير عن المفهوم بالكلمات" (شريف ٧٢: ٢٠٢٤)، ولكن ما يجب الإشارة إليه، هو أن من غير الممكن اعتبار أن العملية الإبداعية للمفاهيم مقتصرة على الفلسفة فقط، بل كذلك نجد هذه العملية في الحقول المعرفية الأخرى، ولكن الأمر الذي قد يغفل عنه، هو تلك العلاقة بين هذه الحقول، حيث يكون ذلك التكامل والترابط بين حقول المعرفة. إن المفاهيم لن تكون جاهزة مسبقا، بل تحتاج إلى خلق وإبداع كما بينا وهذه هي المهمة المنوطة بالرؤية الأدبية، فمن واجب الأديب الرائي نحت المفاهيم، وقبل ذلك عليه أن يمتلك الجرأة في الابتكار والجرأة لمواجهة الناس بها، وهو ما يريده نيتشه من المفكر، إذ "لا ينبغي أن يكتفي بقول المفاهيم التي تمنح لهم مقتصرين على صقلها وإعادة بريقتها، وإنما عليهم الشروع بصنعها وإبداعها وطرحها وإقناع الناس باللجوء إليها، لا نزال جميعا، إلى اليوم، نؤمن بمفاهيمنا فقط ونركن إليها". (دولوز- غتاري ٣٠-٣١)

الشخصيات المفاهيمية في الرواية هي فكرة ترتدي ملامح بشرية، وفي الرواية، لا تسير هذه الشخصية لتعيش حياتها، بل لتظهر للقارئ كيف تتصارع القيم والأفكار داخل عالم بشري. ومن الشخصيات المفاهيمية التي تمثل الفلسفة الإيكولوجية، وتتناسب مع المنجز القصصي الموجه لليافعين والفتيان، وهذا يدل على حدية الشخصيات الوارد حضورها في هاتين الروايتين، عينة الدراسة، والتي يمكن تقسيمها على وفق المفاهيم، على شخصيتين هما: شخصية (فارس) في رواية طفوليا كوكب الأطفال وشخصية

مفهوم الإندماج الإيكولوجي: ميلاد (ابن الشجرة):
نجد موضوعة الإندماج الإيكولوجي والتفاعل
المطلق بين الذات ما تمثل لدينا في المتخيل السردي
الإيكولوجي لدى شخصية ميلاد ابن الشجرة في
الرواية تشييكو، إذ تبرز هذه الشخصية كرمز
للتجذير والارتباط العميق بالأرض والطبيعة، وهو
يمثل العلاقة العضوية بين الإنسان ومحيطه الطبيعي،
إذ تتجسد فيه مفاهيم الانتماء والهوية البيئية، وهو
ليس مجرد شخصية روائية، وإنما هو تجسيد لفكرة
المقاومة السليمة والدفاع عن البيئة، ومن خلاله تسلط
الرواية الضوء على أهمية التوازن بين التنمية والحفاظ
على البيئة، وتدعو إلى تبني ممارسة مستدامة تحترم
الطبيعة وتضمن استمرارية الحياة للأجيال القادمة.
لذلك نستطيع أن نقول: إن شخصية ميلاد شخصية
مفاهيمية، لأن ميلاد في هذه الرواية لا يمثل شخصا
فرديا بقدر ما يجسد فكرة عامة أو مبدأ أوسع. فهو
ليس مجرد شخصية لها ماض وحياة واقعية، بل
يصبح تمثيلا رمزيا لقيم معينة.

ما نجده في الرواية أن ميلاد يتجرد من هويته
الشخصية، مقابل الهوية البيئية العامة، بل أنه يجد
نفسه جزءا من البيئة إلى الحد الذي يستنكر فيه
تصنيفه إلى تصنيفات أخرى مجاورة، وهذا ما
نجده عندما يرفض أن ينادى من قبل الآخرين
باسمه (ميلاد)، ويفضل بأن ينادى (ابن الشجرة)،
في هذه الرواية ومن خلال رفضه لاسمه ميلاد و
اختياره لاسم ابن الشجرة نجد أن الشخصية هنا
ممن يمكن تصنيفها بالشخصية المفاهيمية، فالاسم
يوشي بتعلق الشخصية بالبيئة وما تعانیه، وذلك
ما جاء على لسانه: "ذلك الطفل هو أنا يا أرنيثا
أجاي. اسم ذلك (الطفل ميلاد). اسم أكرهه كرها
شديدا. خصوصا عندما يردده الطلاب الأطفال الذين
أدرسه: (سيدي ميلاد!). أحب الاسم الذي اخترته

عبر نسيانه المتكرر لتناول الدواء، وفيها صورة
للطفولة واللامبالاة بما يمرون به، فالمهم عندهم
الحياة والسعادة فيما يحبون ممارسته من هوايات
وألعب. وفي مثال آخر يقول:
-هل تناولت دواءك؟

استنجد الدكتور فهمي بالسؤال المعهود ليخفي
عجزه عن تقديم الإجابة المرجوة لابنه. فأجابه بكل
برود هذه المرة.

-لا يا أبي، لقد نسيت! (بن عياد: ٢٣)

هنا نجد فارس غير ملتزم بوصية أبيه فهو كان
مشغول الفكر وتأؤها في عوالمه الخاصة. وكان يحمل
هما أكبر من أن ينتبه لتفاصيل صغيرة مثل كإغلاق
النافذة أو أخذ المنديل، فلم يكن تجاهل فارس لوصية
أمه عصيانا، بل يبدو إن ما ناداه في قلبه وذهنه أكبر
وأقوى من صوت أمه.

-حسنا! حسنا! يا لهذه الرسائل! لا تلق بمحفظتك
أرضا. اخلع حذاءك و احتد خفيك الخفيفين. لا تعرض
نفسك للهواء. وأغلق النافذة قبل تغيير ملايسك!
-حاضر ماما!

-طبعاً! لم يطبق فارس ولو وصية واحدة من كل
ما سمع... (بن عياد: ١٠-١١)

مانشاهده في شخصية فارس هو ازدواجية، فهو
شخصية مهمة في الأمور التي تتعلق بحياته هو
نفسه، كما في المثال المشار إليه، ثم نجده في مقابل
ذلك يتمتع بالنشاط والحيوية في المتابعة والنهوض
بالواقع البيئي، هذا يمثل للقارئ أنه شخصية
تتفانى في حب (الغير). و(الغير) هنا: (أطفال العالم)،
وهنا يتجلى البعد المفاهيمي الذي تصوره الرواية
الإيكولوجية عبر شخصية فارس، ويظهر ذلك من
خلال النشاطات والبحث عن العالم الجديد، ذلك العالم
الذي يتناسب مع قيمة الإنسان و البراءة الطفولية.

و يعد الإنسان من أهم العوامل المؤثرة في التوازن البيئي. (بلقندوز ٢٠٢١: ١٨٩) وله دور فعال في حماية تلك البيئة عبر حماية الموارد الطبيعية والتنوع البيولوجي ووضع معايير صارمة للانبعاثات الصناعية ومعالجة النفايات ومراقبة جودة الهواء والماء، فضلا عن ذلك مواجهة تغير المناخ من خلال خفض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري والانتقال إلى مصادر الطاقة المتجددة وتعزيز كفاءة استخدام الطاقة، بالموازنة بين النمو الاقتصادي والعدالة الاجتماعية والحماية البيئة وذلك لتحقيق التنمية المستدامة.

نظرا للمخاطر العديدة التي يسببها التلوث البيئي، فقد انتهجت الدراسات العلمية المتخصصة لبحث هذه الظاهرة منذ نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن العشرين، فقد عقدت المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية على كل الأصعدة المحلية والإقليمية والعالمية التي نبهت على خطورة التلوث البيئي من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والصحية، وأقرت بضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية البيئة عن طريق سياسات تهدف إلى رسم القوانين ووضع التشريعات اللازمة للمحافظة على سلامة الأنظمة البيئية وفعاليتها وحمايتها من تداعيات التدهور الناتج عن هذا التلوث بالسياسات البيئية. (صليحة ٢٠١٧: ٩٥) ومثل ما تقدم تظهر هذه السياسة عند (ميلاد) في الرواية، فهو يقوم بتربية الطلاب للحفاظ على البيئة والدفاع عنها، و نشر الوعي البيئي وانتشار الثقافة البيئية بين الطلاب والمجتمع برمته، وقد يظهر ذلك جليا عبر ما جاء على لسانه:

”...أيها الأطفال ، الحطابون القساة يهددون باقتلاعها والشجرات أخرى هي كل ما بقي في كل الحديقة. فهل نصمت؟

- لا! أجابوا بصوت متناغم

لنفسه. (ابن شجرة المشمش)“ (بن عياد: ١٥). ولو أنه زاد بعض الخصوصية والتجنيس لكان يوافق على مقترح ان يكون اسمه (ميلاد ابن الشجرة) إلا أنه مع ذلك يرفض أن يجنس، و ذلك لأنه لا يرى نفسه كفرد اعتيادي له تاريخ شخصي وحسب، وإنما كيان يتجاوز الفردانية، بل يريد أن يكون صوت الضمير البيئي والهوية المقاومة في وجه الاقتلاع والخراب. ومع ذلك فهو لا يعرف نفسه ككائن اجتماعي بقدر ما يعرف نفسه بوصفه امتدادا للطبيعة فبهذا الشكل لن ينفصل الإنسان عن محيطه، بل يصبح جزءا منه. وتستأنف الشخصية (ميلاد) في دفاعها عن البيئة مما يشكل ذلك الدفاع مفهوما فلسفيا محوره (الإيكولوجيا)، وهو ذلك المصطلح الذي اقترحه عالم الحيوان الألماني ارنست هيغل (فيروز ٢٠٢٣: ٥٥٥)، ويراد به علاقة الحيوان مع المكونات العضوية واللاعضوية أي الحية وغير الحية في البيئة. فالمفهوم الإيكولوجي يضعنا أمام حقيقة أساسية مفادها أن صحة الإنسان ورفاهيته مرتبطين ارتباطا وثيقا بصحة الأنظمة البيئية التي نعتمد عليها. فعندما تتدهور هذه الأنظمة، تتدهور معها جودة حياتنا وتتقلص فرص ازدهارنا كمجتمعات بشرية؛ لذلك تحتل قضية حماية البيئة أهمية دولية كبيرة، وهي تمثل واحدة من أهم القضايا في العصر الحديث إن لم تكن أخطرها على الإطلاق، لتعلقها بمستقبل البشرية ومصير النوع الإنساني، ويزداد هذا التهديد كلما زاد التقدم العلمي والصناعي والحضاري. فالحفاظ على البيئة وحمايتها لها بعد استراتيجي للإدارة الرشيدة للموارد الطبيعية لأنها شرط أساسي لتحقيق التنمية المستدامة، والثقافة البيئية تهتم بإعداد الفرد للقيام بدوره في مواكبة التغيرات البيئية ليصبح أكثر مشاركة في مواجهة مشكلاتهم وإيجاد حلول تتصف بالإيجابية. (بورفيس ٢٠٢١: ٧١٨)

وأن یضحک الطفل مطمئنا تحت شجرة لم تغتل، وفي كوكب لم يدنس. ومن هذا المنطلق، تبرز الدراسة من خلال هاتين الشخصيتين مفهومين إيكولوجيين أبداعهما الروائي صلاح بن عياد ليحمل بهما رسالته البيئية وأنين الأرض وما فيها، في إطار أدبي شفاف وبسيط جسده روايته بعمق وإنسانية

المطلب الثاني: الشخصية الساندة :

لا يخلو عمل روائي منها وتأتي ساندة للشخصية الرئيسية المحورية في أحداث القصة، وغالبا ما تكون غير نامية وتسير على وفق مستوى واحد، فهي إما عوامل كشف عن الشخصية الرئيسية وتعديل سلوكها، وإما تبع لها، وتدور في فلكها، وتنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها. (عدوان، سعد عودة حسن: ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ١٥) فالشخصية الساندة هي النافذة التي تسمح لنا بالكشف التدريجي للتعرف والتطلع على أحداث ومجريات النص في الرواية أو القصة، وبالتالي فهي مساعد رئيسي للشخصية الرئيسية في أداء مهمتها وإبراز الحدث، أي أنها أقل تعقيدا وعمقا من الشخصية الرئيسية، ومهمتها تقتصر على تكميل دور البطل، ومساعدته في سياق الأحداث. (بوشبوط ٢٠١٨-٢٠١٩: ٢٨)

كما أنها تقوم بالمساعدة في حركة الأحداث عن طريق خلق الصراع وإثارة الحيوية، ودورها مساند، وليس ثانويا لأن المساندة تعبير أقوى فهي تعطي دلالة المبادر والحيوي والمعاضد فكريا أو شعوريا فالشخصية الثانوية هي شخصية مساندة أو مساعدة تعطي للعمل الروائي حيويته وقدرة على إبلاغ رسالته، وأن تجذير الصورة الدرامية داخل العمل الروائي لاتتم الا من خلال تحريك الشخصيات الثانوية التي تعطي للصراع ذروته ومعناه، ومن هنا فالشخصية ليست حالة أو مادة عابرة أو مفروضة

- ماذا نعمل يا سيدي ميلاد؟ تساءلوا بأصوات متحمسة.

--حسنا يا أطفال، لنفعل مثل الفيشنويين! (بن عياد ١١٢-١١٣)

ما نجده في هذا النص وتجدر الإشارة إليه أن ميلاد يود أن يعلمهم ويغرس في قلوبهم حب البيئة والحفاظ عليها من التدمير أو الاستغلال الجائر، واتخاذ مواقف ضد الظلم بحق الطبيعة ومكوناتها، ويعلم الأطفال والطلاب أن الأرض ليست ملكا للإنسان فحسب، بل هي ملك لكل كائن سواء أكانت كائنات حية أم كائنات غير حية، لانها ملك للجميع؛ فعلى الحفاظ عليها، ويؤكد للأطفال في العالم ولطلابها في المدرسة أنهم ورثة هذا الكوكب ويمثلون الأجيال القادمة المعنية بحمايته، وأن البيئة التي نعيش فيها إن هي إلا رمز تاريخنا وتاريخ أجدادنا، و من دون وعيهم بما هي فيها من مخاطر سيكبرون وهي مليئة بالتلوث وخالية من الجمال والتوازن، لذا ينبغي أن نحافظ عليها من أجل المستقبل ومن أجل أجيالنا. ومع ذلك استطاع ميلاد أن يغرس في قلوب الطلاب بذور الوعي البيئي، وينمي فيهم روح الانتماء إلى الأرض والوطن، مؤمنا بأن المستقبل المشرق يبدأ على يدهم.

نتبين مما تقدم أن الدراسة بشخصيتين يمكن التقريب بينهما، شخصية ميلاد الذي يستغني عن اسمه وجنسه البشري أمام البيئة وموجوداتها التي تمثلها الشجرة، وشخصية فارس الذي يستغني عن صحته وعن الاعتناء بذاته مقابل حياة الأطفال في العالم. كلاهما يقاتل من أجل المستقبل ف (ميلاد) بأفعاله وأقواله يحمي الأرض، في المقابل نجد (فارس) يهين الحياة ليكون فيها مكان آمن للأطفال العالم. : فهما في الجوهر واحد، وإن اختلفت وسائلهما، إذ تجسد الغاية في أن يظل الإنسان كريما على أرض كريمة،

الأمر الذي يجعل الجمهور يسعى إلى تقليدها أو الاقتداء بها على مستوى الوعي أو الخيال، و أحيانا لا يحبذ المتلقي الشخصية الثانوية في أدب الأطفال، ولا يريد أن يكون مثل الشخصية الساندة، وذلك لأنها كثيرا ما تكون في هذا الأدب شخصيات ساذجة بسيطة تجعل الطفل المتلقي أمام مفترق متناقض بين الشخصية الرئيسية الفاعلة المؤثرة وبين الشخصية الساذجة البسيطة المضحكة في أحيان كثيرة وهذا ما نشاهده في أفلام الكارتون المقدمة للأطفال. إذ لا يكون في مركز الأحداث، في شخصية تساعد البطل، وهي سبب لكي يشعر المتلقي بأنها أقل أهمية من الشخصية الرئيسية المحورية.

إن تضرر الشخصيات الساندة في العمل الروائي بوصفها عنصرا فكاهيا أو عاطفيا، ومع ذلك فإن الشخصيات الساندة نادرا ما تحظى بالتقدير أو الأضواء كما يفعل للبطل، والمتلقي لا يريد أن يمثل هذا النوع من الشخصيات، بل يريد أن يكون شخصا استثنائيا، ويحقق إنجازات عظيمة، ويتغلب على صعوبات كبيرة. لذلك نستطيع أن نقول: إن المتلقي بطبيعته يميل إلى تخيل نفسه في مكانة مميزة، وليس في موقع ثانوي.

إن الشخصية الثانوية تحمل مفهوما هي الأخرى، ولأن في هذه الدراسة تناولنا في المطلب الأول المفاهيم الكبرى، لذا استبعدت هذه الشخصيات عن عنوان الشخصيات الساندة، ومما يمكن أن تحمله هذه الشخصيات في كونها تمثل المتلقي أو الشخصيات التي ينبغي لها أن تكون بمستوى الشخصيات المفاهيمية.

في أحيان أخرى تكون الشخصية الساندة داعمة للمفهوم العام الذي تحمله الشخصية الرئيسية ولا تتصف بالساذجة التي أشرنا إليها وهذا بالضبط ما نطالعه في الروايتين عينة الدراسة، ذلك لأن

على مسرح الحدث، فالشخصية الساندة بطله أيضا إنما بمستواها. (حمودي ١٩٨٨: ٤٣)

ومع ذلك "تلعب الشخصية الساندة دورا مهما في توضيح القصة وتوسيعها". (سليم، خالد جعفر، ٢٠١٧، ٤٣) فهي تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تطويره. (رحمانى ٢٠٢٢-٢٠٢٣: ٤٧) وتتنوع هذه الشخصيات في العمل الروائي بين المرشد ومصدر الحكمة أو النصح، أو تكون مصدرا للصراع وتخلق مشكلة تدفع القصة إلى الأمام، أو تستخدم هذه الشخصيات كعنصر فكاهي أو عاطفي لكي يخفف التوتر أو تستخدم لإضفاء طابع مرح يقرب القارئ من العالم القصصي. لذلك تأثير الشخصيات الساندة على مزاج الأطفال وتعاطفهم كبير ومنوع، وكذلك التفاعل مع الأحداث. والشخصيات الساندة لها دور مهم وبارز في تنمية النمذجة السلوكية بطريقة غير مباشرة، وتجسيد القيم من خلال الأفعال مباشرة، فهذه الشخصيات سبب من الأسباب لكي يتعلم الطفل أن العالم مكون من أفراد مختلفين، ولكل منهم دور مهم في المجتمع. ومع أن الشخصيات الساندة أو الشخصيات الثانوية لا تحتل مركز القصة، فإنها ضرورية في خلق تجربة سردية غنية في مشاعر الطفل وسلوكياته، وتدعمه في فهم الحياة والآخرين بطريقة لطيفة وفعالة. لذلك فإن الشخصية في قصص الأطفال يمكن عدها أهم مكون فني فيها، وذلك لأن الطفل يتفاعل أساسا معها ويهتم بكل أفعالها وأقوالها أكثر من أي شيء آخر. (ظريف ٢٠١٥: ٤٤) ومما يجدر التنبيه إليه أن المتلقي في مختلف الأجناس الفنية رواية كانت أو مسرحا أو فيلما يميل غالبا إلى التماهي مع البطل أو الشخصية المحورية. فهذه الشخصيات تقدم عادة بوصفها نماذج يحتذى بها، لما تجسده من مواقف وأفعال وبطولات، سواء استندت إلى وقائع واقعية أو انطلقت من عوالم أسطورية،

عیاد ٢٠) فهي لم تكن متحسرة ولا نامة على الترك الوظيفة، بل تريد أن توصل رسالة مفادها: إن الحب الحقيقي يظهر في لحظات الشدة، لا في الكلمات فقط، فرعايتها لفارس لم تكن مجرد واجب، بل كانت فعل حب عظيم وتضحية إنسانية تشيد بها الرواية بشكل غير مباشر. فهي تحمل رسالة عميقة، إذ تمثل كل أم تبذل الغالي والنفيس من أجل سعادة أبنائها. لذا، على الرغم من بساطة حضورها تظل كاميليا من الشخصيات المؤثرة التي تسكن ذاكرة القارئ وتمنحه درسا في الحب والحنان والقوة. فهي نموذجاً للأوممة الحنونة والتضحية النبيلة، فكان حضورها ذا أثر بالغ في إبراز قيم الوفاء والصبر والحب غير المشروط. ففي عينها أن فارس لم يكن أبنها فحسب، بل رسالة ومعجزة صغيرة تتحدى الألم، و مرآة تعكس أعظم ما فيها من حب وإنسانية. و حينما تقول (أنت أجمل إنجازاني)، أي أن الإنجاز بالنسبة لها لم يكن وظيفة مرموقة، ولا وساما تتباهى به، بل أن أجمل ما أمتلكته في هذا الكون هو هذا الطفل الصغير بنظرته وابتسامته ووجوده. و أرادت أن تقول له أنا وطنك و أمك رغم كل المصائب.

ومع أنها تركت وظيفتها من أجل الإعتناء بابنها فارس المريض، إذ يقول الراوي: "... يكفي أنها استقالت من عملها كي تتفرغ لشؤون البيت" (بن عياد ٢٠)، وهي بهذا تؤدي عملاً إيكولوجياً في بيتها ولأبنها المريض فضلاً عن ذلك فقد رسمت له صورة الكوكب "... أن ترسم لنا ذلك الكوكب الخيالي وفقاً لمواصفات الأطفال المختلفين. وإليك ما رسمت... "(بن عياد ٩٢)، وفي قولها يتجلى الدرس الإيكولوجي الإسنادي لما كان ينافح عنه فارس في مشروعه البيئي. ذلك الكوكب الجميل الذي كان يوماً ما كوكباً للأطفال، وأرادت أن تقول له أن الأرض كوكب وكوكب أطفال العالم و أنتم لستم غرباء،

الشخصيات الساندة التي نجدها في الروايتين، لها دور مهم في تطور الأحداث وتحمل رسالة مهمة في القيم والإنسانية، وهما (كاميليا والدكتور فهمي الصافي) في رواية طفوليا (كوكب الأطفال).

الشخصيات المساندة المتفاعلة إيكولوجياً:

فضلاً عما تطرقنا إليه في دور الشخصية الساندة وأهميتها تقف الدراسة في هذا المحور عند الشخصيات الساندة التي تتفاعل إيكولوجياً، بمعنى هي ساندة للمفهوم الإيكولوجي ومتفاعلة مع الموضوع الإيكولوجي بما يقدمه في العمل السردي من صورة فنية متخيلة، ومن هذه الشخصيات:

-كاميليا:

كانت كاميليا من الشخصيات المساندة في رواية (طفوليا كوكب الأطفال)، وهي أم لطفلها المريض فارس، وتمثل شخصية السيدة كاميليا نموذجاً للمرأة المثقفة التي تسعى إلى تغيير اجتماعي وفردية من خلال عملها وتعاملها مع الأطفال، فقد كانت مدرسة فنون تشكيلية في المعاهد الثانوية، وهي أيضاً رسامة بارعة عرفت نجاحات كثيرة، وتبرز أهميتها من خلال دورها في تشكيل وعي الأجيال الجديدة وتأثيرها على مسار الأحداث.

إن الرواية من خلال هذه الشخصية تسلط الضوء على دور الأم في حياة الطفل وتضحيتها بكل ما تحبه من أجله، وتجلى ذلك حين تخلت عن وظيفتها لتتفرغ للاعتناء بفارس، الذي كان بحاجة إلى رعاية دقيقة. ولم يبق لها من عالمها السابق سوى ما أبدعته يداها من لوحات تزين بها المنزل. و مما يلتفت الإنتباه أن السيدة كاميليا ليست نادمة على قرارها بترك العمل، بل كثيراً ما تقول لفارس بكل ثقة وحنان: "أنت أجمل إنجازاتي يا حبيب أمك!". (بن

الإنساني العميق، ويظهر ذلك من خلال أفعاله من مثل: "وكان الدكتور فهمي قد ركز جرسا يربط بين غرفته وزوجته في الأسفل وغرفة فارس في الأعلى" (بن عياد ٢٥).

تتجلى في هذه الشخصية رسالة إنسانية ذات بعد أخلاقي وأبوي واضح، موجهة على نحو خاص إلى الابن، وعلى نحو أعم إلى أطفال العالم. إذ يسعى النص من خلالها إلى ترسيخ فكرة التواصل الإنساني القائم على الحب والأمان، إذ يدرك الأب أن بين البشر خيطا خفيا من المودة والارتباط الروحي ينبغي الحفاظ عليه، وعدم السماح بانقطاعه. كما تعبر الشخصية عن وعي عميق بمعنى الحضور الإنساني رغم الغياب المادي؛ فالأب يوصي ابنه بأن يصغي إلى الحياة بقلبه لا بأذنيه، في إشارة إلى بقاء الأثر الإنساني بعد الفقد، وإلى أن التواصل الحقيقي يتجاوز حدود الزمان والمكان. ويمتد هذا البعد الرمزي ليشمل أطفال العالم جميعا، في دعوة صريحة إلى صون الخيط الواصل بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الأبناء والآباء، باعتباره خيط الرحمة والانتباه. وهنا يأتي رمز "الجرس" في النص بوصفه تجسيدا لهذا المعنى؛ فهو يمثل صوت الإنسانية الداخلي الذي يذكر بضرورة الإصغاء للآخر والحفاظ على الروابط العاطفية والروحية التي تمنح الوجود بعده الإنساني العميق. وعليه، فإن "الجرس" يتحول في بنية النص إلى رمز للتواصل الإنساني غير المشروط، وإلى أداة تذكير مستمرة بأن هناك دائما من يصغي ويشعر، حتى وإن بدا بعيدا، مما يرسخ رؤية الكاتب الإيكولوجية والأخلاقية القائمة على التراحم والإنصات للآخر. ومع أنه يمثل في الرواية نموذجا للأب المثالي، فهو أيضا يمثل زوجا مثاليا أيضا، ويتجلى ذلك عندما يقول لفارس: "ولقد قال الدكتور فهمي مرة لابنه فارس عن الأمر: إنه يشبه المرض النفسي المسمى (الوسواس

بل أنتم من يملك مفتاح إصلاحه، لا تتركوا الأرض، بل تذكروها كما يجب أن تكون، بخيالكم بأيديكم وبراءتكم، فأنتم تبحثون عن الأرض، تلك الأرض التي نسيها الكبار.

ولأنها كانت مدرسة ومع ذلك كانت رسامة أيضا، فهي تحاول من خلال أعمالها أن تعلم ابنها كيف يتعامل مع الحياة والمحيط الذي يعيش فيه، ومن هذه الأعمال والتعامل ما نجده في الرواية على لسان الراوي حين يقول: "تحب السيدة كاميليا أن ترى الأشياء مرتبة. بل هي مهووسة جدا بذلك". (بن عياد ١٩) في هذا النص نجد أن السيدة كاميليا تريد أن تخبر ابنها (فارس) أن ترتيب الأشياء هو انعكاس لشخصية دقيقة، محبة للنظام، ومع ذلك فهي تريد أن تقول له أن الترتيب ليس فقط بالأشياء المادية، بل ترتيب الأفكار والمشاعر وجعلها أكثر إنسانية، ونلاحظ من خلال تصرفاتها لا تقول له إنها تحب الترتيب، بل تعلمه أنها لاتقبل الفوضى، ومع ذلك تريد أن توصل له فكرة أخرى هي: إذا أردت أن تكون جزءا من عالمي، يجب أن تحترم نظمي، وأن تعرف أن التفاصيل الصغيرة مهمة عندي بقدر الأمور الكبرى. وتدعو الرواية القارئ للتأمل، وقائلة له: هل حياتكم مرتبة؟ وهل تسيطر على الفوضى على حياتك؟

– الدكتور فهمي الصافي:

تعد هذه الشخصية من الشخصيات الساندة في رواية (طفوليا كوكب الأطفال)، تظهر هذه الشخصية بين الحين والآخر على أنها ساندة لفعل الشخصية الرئيسية وملازمة لها وتتشرك معها في بيان أهمية شخصية الأب، فهو يجسد الأب الداعم والموجه، وهو والد فارس المريض، الشخصية المحورية في الرواية، يتميز الدكتور فهمي الصافي بحضوره

وتکافح وتدافع من أجل البيئة والتنمية المستدامة، وهي جزء مهم من المجتمع الذي يصوره لنا الروائي، ومع ذلك أيضا هناك شخصيات مع أنها ساندة للشخصية الرئيسية، إلا أنها تمثل السلطة التي لها يد عليا في تدمير التوازن البيئي الذي أصبح هما عالميا، و تهديدا حقيقيا للإنسان. و من الشخصيات المساندة التي رسمها الروائي في رواية تشيبكو وغير متفاعلة الإيكولوجيا، هو أبو (ميلاد).

- ابو ميلاد:

وهو من الشخصيات المساندة في رواية تشيبكو، وهو أحد أوجه الصراع في التعامل مع قضايا الأرض والبيئة، فهو والد ميلاد، والد ذلك الشاب الذي يكافح ويناضل لحماية البيئة والأشجار، بينما ينتمي أبوه إلى جيل الحطابين الذين اعتادوا على قطع الأشجار، وهو رمز لتلك العلاقة المعقدة بين الإنسان والطبيعة، وبين العيش اليومي والوعي البيئي. ومع أنه من الشخصيات الساندة وظهوره في الرواية محدود، إلا أنه يحمل دلالة رمزية مهمة، فهو لا يرى في الطبيعة إلا موردا للاستغلال من أجل البقاء. رجل في قرية الحطابين، ماتت زوجته، وتركت ابنه يتيما، ويظهر ذلك من خلال ماجاء على لسان الراوي: "الأب عبوس دائما. وهو لا يحب المشمشة". (بن عياد ١٢) ومع ذلك عندما يقول (أب عبوس) فهو رمز للسلطة الإقتصادية أو الصناعية أو الحكومة والمؤسسات التي لها يد عليا في التدمير والتدهور البيئي.

إن الرواية تريد ان يصور لنا أن الإنسان هو الذي يدمر بيئته، لأنه يعيش على استنزاف مواردها، مع أنها جزء من الطبيعة. وهو نجار لا يرى في الأشجار سوى ما توفره من أخشاب، إذ يقول الراوي: "إنه مثل أي نجار لا يرى من الأشجار سوى ما توفره من أخشاب. لذلك، كان ينتظر اليوم الذي يدب اليبس

القهري). وهو هوس مبالغ، لكن علينا احترامه حتى لا نسبب للأُم الحنون أي ضيق". (بن عياد ١٩-٢٠) ومع أن أم (كاميليا) تعاني من هذا المرض، كما يصفه الراوي في الرواية، فالدكتور يطلب من ابنه فارس أن يتعامل معها بالتعاطف قبل العقلانية، فهناك كثير من الأشياء لا تفسر بالعقل فقط، بل يجب أن تفهم بالقلب أيضا، وبدلا من أن يقول له: دعها وشأنها، قال له: احترم ما تشعر به، ولا تكن سببا في ضيقها، وهذه رسالة ذات بعد تربوي، وعلى الرغم من ذلك فهو يدعو لنوع جديد من الرجولة التي فيها رقة، ومسؤولية وجدانية، واحترام المرأة من منطلق إنساني لا تكلف فيه، فهو لا يريد من الرجل أن يتحمل النساء، بل يدعو إلى الاحترام وهو أرقى من الصبر السلبي، لأن الرجولة الحقيقية لا تقاس بصلاية القلب، بل بقدر ماتحتل من حنان دون أن تهتز. ويريد أن يقول لفارس وللعالم إسأل نفسك، ماذا لو كنت مكانها؟!

و على الرغم من أنه من الشخصيات الساندة في الرواية، و لا تظهر كثيرا في مجريات الأحداث. إلا أنه ركن أساسي في البناء الدرامي للرواية. وتظهر أهميته من خلال تأثيره العميق على مسار حياة ابنه وقراراته. فهو نموذج للأب الحنون الذي يوازن بين مسؤوليات العمل ومتطلبات الأسرة.

الشخصيات المساندة غير الفاعلة إيكولوجيا:

هي ذات الشخصيات الساندة التي تحدثنا عنها وذكرناها سابقا أن الشخصية الساندة في بعض المواقف مساندة للشخصية الرئيسية، ونجدها في مواقف أخرى معارضة لها ومنافسة لها، وذلك حسب الغاية التي وكلها لها الروائي. (براهمي ٢٠٢١: ٦٧) من خلال قراءتنا ومتابعتنا للرواية نستطيع أن نقول إن: هناك شخصيات ساندة تمثل المجتمع

الذي نشهد ضمنه عوالم مختلفة عن عالمنا البشري. (جزيرة، عابد، خضري، ٢٠٢٣: ٥١) أما في الأدب العربي كما غيره من الآداب فقد عرفت صوراً كثيرة من الأدب الفنتازي إلا أنها كانت تعرف بمفاهيم تلك العصور التي تنتمي لها تلك الأعمال. وما دنا بصد الرواية التي لم يعرفها العرب قبل العصر الحديث وبما أننا بصد الفنتازيا بوصفها مفهوماً جديداً؛ نجد ضرورة لتعريفها والتفصيل في شأنها بما له علاقة بهذه الدراسة، فضلاً عن الفانتازيا وعلاقتها بـ (أدب الأطفال واليافعين) إذ تعد من التقنيات التي يعتمد عليها الكتاب للترفيه عن هذه الشريحة وسد حاجاتها الضرورية التي تتمثل في تعزيز الخيال.

يزخر أدب الأطفال بالفانتازيا وهو محبب وممتع لديهم. إن القصص تجعل الأطفال مقبلين عليها يتشوقون لقراءتها وسماعها. وتحفز هذه القصص مخيلة الطفل، لأن فيها طابع الإدهاش والغرائبية في الأحداث، كما إن قدرات أبطالها الخارقة وسير الزمن فيها قد يجعل القارئ (الطفل) يفترض بان لها دوراً أساسياً في إثراء مخيلة الطفل. وعلى الرغم من ذلك فإن مهمة الفانتازيا ليست إيصال المعلومات إلى الأطفال فحسب، بل اشباع مخيلاتهم ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثر سعة، لذا تعد تنمية قدرة الطفل على التخيل والتأمل والمرونة أحد أهداف هذه القصص. (بهروزي، حبيبي، نسب ٢٠٢٣: ٢٧-٢٨-٢٩)

إن توظيف الفانتازيا و الخيال في القصص الموجهة للأطفال شيء صعب ومهم في الوقت نفسه، وذلك لأنه يقلل من التوترات النفسية، فلا بد أن تتناسب تلك الرسوم الخيالية مع عقل الطفل وطبيعته الانفعالية، وتساعد على اكتساب المعلومات والمهارات المختلفة، وأن تنقله إلى عالم يخفف من توتر الواقع الذي لا يمكنه مواجهته، ومع ذلك فإن الفانتازيا والخيال في قصص الأطفال يساعده على التفكير ويؤدي دوراً

في المشمشة. فتنحول إلى خشب يصنع منه طاولات وكراسيا". (بن عياد ١٢) أي أنه شخص ينظر إلى الأشياء من منظور مادي أو نفعي بحت، فلا يرى جمال الطبيعة أو قيمتها في ذاتها، بل كل ما يفكر فيه هو كيف يفيد منها ويحقق منفعة خاصة. وهو على وفق هذا الموقف يكون في الرواية شخصية غير متفاعلة.

ومما سبق ذكره نستطيع القول: أن هناك فرق كبير في الفكرة والتعامل وفلسفة العمل، بين الشخصيات الساندة في الروايتين. ففي رواية (طفوليا كوكب الأطفال) نجد أن السيدة كاميليا والدكتور فهمي الصافي هما مساندان للشخصية الرئيسية فارس، يكافحان من أجل قضايا الأطفال في العالم، لذا غدا سندا للشخصية الروائية فارس، فهما رمز للقوة والتعايش والصحة والسلامة، أي أنهما شخصيتان متفاعلتان إيكولوجياً، في قبالة ذلك نجد أن شخصية (أبو ميلاد) في رواية (تشيكو) مع أنه من الشخصيات الساندة ووالد ميلاد الذي يناضل من أجل البيئة والأشجار، بينما أبوه معارض له في موافقه مع الشخصية الرئيسية في القضايا التي تتعلق بالبيئة وهو غير متفاعل معها، إذ يمثل السلطة الاقتصادية والصناعية ويرمز إليها إذ لديها يد عليا في تدمير البيئة، وتهدد مستقبلنا ومستقبل أجيالنا.

المطلب الثالث: الشخصية الفانتازية:

الفانتازيا مصطلح من المصطلحات الحديثة التي تناولها النقد العربي في اشتغالاته النقدية خاصة والأدبية عامة. وهي نوع من النصوص السردية التي تقوم بصياغة الواقع على شكل وهم وبلا منطق وبشكل غير مألوف، وتعتمد على السحر، والعرافيت، والجن، والأفعال الخارقة. وظهرت الرواية الفانتازية في الأدب العربي بشكل مميز في الآونة الأخيرة وقد ظهر العديد من الكتاب الذين كتبوا هذا النمط الممتع،

وتعكس القضايا البيئية الكبرى في العالم. فهي ليست امرأة بملامح سمراء وإنما تجسيد حي لروح الشجرة والطبيعة ذاتها، ومع ذلك فهي تجسيد للأم المفقودة وللحنان الغائب، وهي وسيلة للهروب من واقع قاس، ويقدم النص شخصية (أم الشجرة) تجسيدا رمزيا لطبيعة بصورة أنثوية، مستلهما التراث الأسطوري العالمي الذي يربط بين المرأة والأرض (الطبيعة)، فهي جسر فانتازي بين عالم الإنسان وعالم الطبيعة، و تعكس من خلال ملامحها وحضورها وتأثيرها رؤيا أدبية تستخدم الفانتازيا أداة للتعبير عن هموم بيئية معاصرة. ويظهر ذلك من خلال ماجاء على لسان الراوي: "هناك أيضا ملامح سمراء لامرأة باسمه من بين أوراق المشمشة". (بن عياد)

ومع ذلك عندما يقول الراوي: "هي امرأة لا يراها سواه". (بن عياد) أي: أن الطفل يتمتع بخيال نقي، وهذا يمنحه القدرة على رؤية عوالم لا يراها سواه، ولأنها تمثل روح الشجرة والطبيعة فلا تتجلى إلا لمن بات قريبا من الأرض والطبيعة. وبما أن العلاقة بين الإنسان والطبيعة علاقة مفقودة، لذلك (لا يراها سواه)، فهم لا يرون ما لا يودون رؤيته، بينما ميلاد يمتلك الشجاعة للمواجهة والرؤية. و من جهة أخرى عدم الرؤية يعكس الانفصال المتزايد بين الإنسان المعاصر والطبيعة في ظل التحضر والتكنولوجيا. تجسيد الطبيعة في شخصية أم الشجرة يعمل كناقذ ضمنى للنظام الرأسمالي الذي يختزل الطبيعة إلى مجرد موارد قابلة للاستغلال، وتتمثل لنا هنا الرؤية الماركسية التي يحملها النقد الإيكولوجي، فرؤيا (ميلاد) الأم الشجرة تمثل رفضا لهذا النموذج الاحتزالي وتأكيدا على القيمة الذاتية للطبيعة. ومع ذلك فهي رسالة ضمنية بأن إنقاذ البيئة يبدأ بتطور رؤية جديدة للعالم، تلك الرؤية قادرة على تجاوز السطحية والاتصال بالجواهر الروحي للطبيعة. أي

مهما في تطوير شخصيته فكرا وتعبيرا، كما تساعده على تأهيل القدرات التأملية والإبداعية واللغوية لديه. (الأحمد ١٢١:٢٠٢٣) لذلك من الضروري مراعاة عدم المبالغة الشديدة في الأحداث، وتضخيم الشخصيات وبطولاتها، حتى لا يعجز تفكير الطفل عن التمييز بين الواقعية واللاواقعية.

ومن الشخصيات الفانتازية التي رسمها صلاح بن عياد في الروايتين، هي شخصية الشجرة الأم. والتي تدعى أمريتا وهي شخصية فانتازية ذات ملامح سمراء في رواية تشيبكو، لا يراها أحد سوى ميلاد (ابن الشجرة)، الذي أحبها كما أحب أمه، وتعلق بها بعد وفاة أمه الحقيقية في سن مبكرة جدا. وصار يعدها أما له، ولها في الرواية حضور أمومي روحاني نوعا ما. وتتميز هذه الشخصية بكونها جسرا بين عالم البشر و عالم الطبيعة، حيث تترجم صوت الأشجار والغابات إلى لغة يستطيع ميلاد فهمها واستيعابها، وعلى الرغم من ظهورها القليل ودورها الساند في مجرى الأحداث، فإن دورها محوري في إيصال الرسالة البيئية والطبيعية التي تحملها الرواية، وحضورها الفانتازي المؤثر يضيف عمقا روحيا وبعدا رمزيا على النص الروائي المعني بالقضايا البيئية. ومن خلال دورها تعمل (الشجرة الأم) على تعميق وعي القارئ بأهمية الحفاظ على البيئة، ومع ذلك تشكل صوتا تحذيريا ضد الممارسة البشرية المدمرة للطبيعة، ومع أن تدخلاتها محدودة إلا أنها مؤثرة في مسار الأحداث، إذ تمنح الرواية بعدا أسطوريا يمتزج فيه الواقع بالخيال والتاريخ بالمستقبل، و رغم ظهورها القليل إلا أنها تبقى علامة فارقة في ذاكرة القارئ، وتذكر العلاقة المتجذرة بين الإنسان والطبيعة بمسؤولية تجاه حماية هذا التراث البيئي للأجيال القادمة.

فهي رمز للعلاقة الروحية بين الإنسان والطبيعة،

خاتمة

تتوصل دراسة الشخصية في المتخيل الإيكولوجي السردى في الروايتين إلى نتائج عديدة، لعل أهمها: تبين من الدراسة أن الشخصية محرك أساسي في العمل السردى وحولها تدور الأحداث. خاصة في الروايات الموجهة للأطفال واليا فعين. أثبتت الدراسة أن الشخصية المفاهيمية تجسد الأفكار الكبرى ذات الصلة بالوعي البيئى، وأما الشخصية الساندة فهي تلك التي تؤدي دورا وظيفيا في دعم البنية الحكائية، في حين تفتح الشخصية الفانتازية المجال أمام الغرائبية والتخيل بما يعمق أبعاد النص الدلالية والرمزية. يتضح لنا أن التفاعل بين هذه الأنماط الثلاثة يثري الخطاب الأدبي، ويمنحه طاقة مزدوجة تجمع بين البعد التخيلي والبعد الفكري، وهذه الازدواجية تسهم في إبراز قيمة العمل الأدبي بوصفه فضاء عاما لإعادة التفكير في علاقة الانسان بالطبيعة وبيئته وما حوله من الكائنات أخرى. يتبين لنا أن توظيف الشخصية في عمل الأطفال يشكل ركيزة أساسية في البناء السردى، وتسهم الشخصيات في جذب الأطفال والقارئ الصغير وإدماجها في عوالم القصة عبر حضور واقعي أو خيالي يتناسب مع حاجاته التربوية والنفسية. فبهذه الحالة لا يقتصر عمل الشخصية على دور حكاى، بل تتحول إلى أداة لنقل القيم والمعارف، وتعمل على تنمية الخيال والتخيل والوعي الجمالي لدى الطفل.

تجسيد أدبي للمفهوم الصوفي "الكشف" إذ تنكشف حقائق الوجود لمن بلغ مستوى معيناً من الصفاء الروحي. فـ (ميلاد) يمثل الإنسان الذي تخطى الحجب المادية التي تفصل البشر العاديين عن روح الطبيعة. هذا الاختبار لا يعكس تفضيلاً عشوائياً، بل انتقاء طبيعياً قائماً على استعداد فطري وروحي. ومن جهة أخرى فهو يعكس الخصوصية الجدلية بين من (يرون) الأزمة البيئية ومن (لا يرونها)، فهو يمثل فئة المدركين لخطورة التدهور البيئي، بينما يمثل الآخرون العاجزون عن رؤية (أم الشجرة) فئة المنكرين أو غير المبالين. وهذه الظاهرة التي يمتلكها (ميلاد) دون غيره يمكن تسميتها بـ(المخيلة الإيكولوجية العميقة)، و تمثل تحولاً أنطولوجياً في العلاقة مع الطبيعة من موضوع سلبي إلى ذات فاعلة. وبهذا تتجاوز الرواية حدود السرد فقط لتصبح دعوة للتحويل الشخصي والجمعي في علاقتنا بالبيئة والحفاظ عليها.

المصادر والمراجع:

- مج: ١٥، ع: ٢، ٢٠٢٣
- جيرال برنس: المصطلح السردي: ت: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط: الأولى، ٢٠٠٣
- حمودي، باسم عبد الحميد، مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية، مجلة الأقلام، ٦٤، ١٩٨٨
- دولوز، جيل - غتاري، فليكس: ما هي الفلسفة، ت: مطاع صفدي وفريق مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، اليونيسكو-باريس، ط١، ١٩٩٧
- دولوز، جيل و بارنت، كلير: الألف باء: ت: أحمد حسان، المحروسة
- رحماني اية-زناسني عايدة: البنية السردية في قصص الأطفال سلسلة الطفل المتحضر فوزي غراب نموذجاً، ماجستير، جامعة بلحاج بوشعيب "عين تموشنت"، الجزائر، ٢٠٢٢-٢٠٢٣
- سليم، خالد جعفر: أنماط الشخصية في قصص جمال نوري، ماجستير، جامعة يوز ونجول، تركيا، معهد العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية الأساسية شعبة اللغة العربية وبلاغتها، ٢٠١٧
- شريف، بن زينب: الفلسفة والصناعة المفاهيمية، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، جامعة وهران، مج: ١٣، ع: ١، ٢٠٢٤
- صليحة، بوزراع: دور السياسات البيئية في ردع وتحفيز المؤسسات الاقتصادية على حماية البيئة، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، ع: ١٧، ٢٠١٧
- ظريف، هاجر: الشخصية في أدب الطفولة بالجزائر أحمد خياط-أنموذجاً- ماجستير، جامعة سطيف-٢(الجزائر)، ٢٠١٤م-٢٠١٥
- العبيدي، جميلة عبد الله: الشخصية في الرواية القصيرة "لغظ موتى" ليويسف المحميد، SHAK Volume، مج: ٢٨، ع: ١
- عدوان، سعد عودة حسن: الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية دراسة في ضوء المناهج النقدية، ماجستير، جامعة الإسلامية- غزة، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤

- الأحمد، حنان يوسف: توظيف تقنية الكولاج في رسوم قصص الأطفال، المجلة الأردنية للفنون، مج: ١٦، ع: ١، ٢٠٢٣
- أحمد، لعياضي: أدب الأطفال أشكاله، أهداف ودوره في ثقافة الطفل العربي، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، الجزائر، مج: ١، ع: ٢، ٢٠٢٠
- براهمي، يمينة: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "الصدمة لياسمينه خضرا أنموذجاً": مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، مج: ٥، ع: ١، ٢٠٢١
- بطاطاش، بوعلام: تحليل الشخصية الروائية، دار امل، ٢٠٢٠
- بلقندوز نادية: علم الآثار البيئي، تجسيد لعلاقة الإنسان ببيئته، مجلة السلورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)، مج: ٧، ع: ٢، ٢٠٢١
- بن عياد، صلاح: الرواية تشبيكو
- بن عياد، صلاح: الرواية طفوليا
- بهروزي، مجتبي - حبيبي، علي أصغر - نسب، منا مرتضوي: مظاهر الفانتازيا الفوقية في قصة "ماه بيشوي" الفارسية وبدر البدر العربية دراسة مقارنة، جامعة الخوارزمي والجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصيلة دراسات في السردية العربية، ٢٠٢٣م السنة الرابعة، ع: ٩
- بورفيس، زهية - غبولي، منى: الثقافة البيئية آلية لتجسيد التنمية المستدامة في المجتمع، مجلة الاجتهاد القضائي، جامعة محمد خيضر بسكرة، مج: ١٣، ع: ٢، ٢٠٢١
- بوشبوط، فايزة: بنية الشخصية في رواية أرخبيل الذباب لبشير مفتي، ماجستير، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥-قالمة- الجزائر، ٢٠١٨-٢٠١٩
- تكروني، أسماء عبدالرحمن: بناء الشخصية في روايات جيل الثمانينات دراسة في نماذج مختارة، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا
- جزيرة، علي هلالي - عابد، محمد جواد بور - خضري، علي: الفانتازيا في الرواية العربية المعاصرة "رواية زوجتي من الجن فوزي عبده أنموذجاً"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها،

پوخته

کارهکتەر یه کیکه له گرنگترین پیکهاته هونه ریه کان که گوتاری گێرانه وهی له سههر دادمه زریته. که نووسهر له وشه کانیه وه دروستی دهکات و هوکاریکی سه رهکیه بۆ نه مریی رۆمانیک، وه ههروهها ئامرازیکی دیار و گرنگه له دهستی نووسهردا، هاوکاریان دهکات له بنیاتنانی دهقه که یان و په ره پیدانی رووداوه کانی. له بهر رۆشنای ئه وه گرنگیه ی دابه شی سی به شم کردوون: له به شی یه که مدا باس له کارهکتهری چه مکی ده که م، وه له به شی دووه مدا کارهکتهری پالپشت و کارهکتهری خه یالیش له به شی سینییه می لیکۆلینه وه که دا باس ده که م. وشه ی سه ره کی: کارهکتهره کان، کارهکتهری چه مکی، کارهکتهری پالپشت، کارهکتهری خه یالی، ئیکۆلۆژی.

العید، جلوي: إشكالية الشخصية وأبعادها الفنية والنفسية في الخطاب القصصي الموجه للأطفال، الأثر-مجلة الآداب واللغات الأجنبية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع: ١، ٢٠٠٢
فيروز، لطرش: البيئة والتنمية المستدامة: دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى، مجلة أبعاد، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة، الجزائر، مج: ١٠، ع: ١، ٢٠٢٣
كريمة، بوزارة - سهام، تذيبه: القصة الموجهة إلى الطفل- أبعادها الأخلاقية والتربوية- قصص شريفة صالحی- أنموذجا، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ٢٠١٨-٢٠١٩
مارتن، والاس: نظريات السرد الحديثة، ت: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨

Abstract

Character is one of the most important artistic components on which narrative discourse is based. which the author creates from his words and is a major factor in the immortality of a novel, since it touches on and represents the reality of real characters. Character is a prominent and important tool in the hands of the writer, helping them to construct their text and develop its events. In light of this importance, I have divided them into three parts: in the first part I will discuss the conceptual character, and in the second part I will discuss the supporting character and the fictional character in the third part of the study.

Keywords: Characters, Conceptual Character, Supporting Character, Fictional Character, Ecology.